الظن في ضوء القرآن الكريم (دراسة موضوعية)

إعداد:

د.عبد الله بن سالم بن حمد الهنائي

أستاذ الدراسات القرآنية المشارك – قسم العلوم الإسلامية

كلية التربية – جامعة السلطان قابوس

راشد بن مبارك بن سالم القلهاتي

باحث دكتوراه – قسم العلوم الإسلامية

كلية التربية – جامعة السلطان قابوس

الملخص

تحدث البحث عن موضوع الظن في آيات القرآن، وتعامل القرآن مع ظاهر ة الظن حسنه وسيئه، من حيث إشكالية تأثيره في قطع روابط المجتمع المسلم أو تقويتها، وأثره في حمل الناس على التدابر والشحناء والقتال؛ فكيف اعتنى القرآن بعلاج كل تلكم المشكلات المتعلقة بالظن؟ وما معنى الظن في اللغة والقرآن؟ وكم مرة تكررت كلمة الظن؟ وكيف عرضها القرآن؟ وكيف عالج الظن السيئ في بناء المجتمع المسلم؟ وهدف البحث إلى الوصول إلى معاني الظن في لغة العرب وسياقها القرآني، وعرض عدد الظن والكشف عن الظن الحسن والسيئ ،والوصول إلى كيفية معالجة القرآن للظن السيئ في المجتمع المسلم، واستخدم الباحثان المنهج الاستقرائي في استقراء عدد مرات ة ورود كلمة الظن ومعانيها في اللغة والقرآن والمنهج التحليلي في تحليل بعض المعاني والمنهج الاستنباطي لأخذ الدروس والعبر والفوائد ذات العلاقة وتوصل الباحثان إلى نتائج عدة من أهمها أن مفردة الظن ومشتقاتها تكررت في القرآن الكريم ٦٩ مرة ولم يصف الله تعالى المؤمنين بسوء الظن مطلقا عدا ما قيل في قوله تعالى (حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم كذبوا). وأما الكافرون والمنافقون فلم يرد فيهم إلا الظن السيئ وتعددت اشتقاق المفردة التي وصفوا بها، ولتطيهر المجتمع المسلم الناشئ من بواعث الشقاق عمل القرآن على تطهير نفوس المؤمنين من سوء الظن ومسبباته بينهم وامتدح الذين يقدمون الظن الحسن على غيره في إخوانهم الذي يعرفون عنهم الصلاح والهداية، أما التثبت من الأخبار والأحوال لبقية الناس ممن يجهلون دينه فلم يمنعهم القرآن من ذلك بل حثهم على التثبت.

الكلمات الدلالية: التفسير، حسن الظن، سورة الظن، السورة، آية.

Abstract

The research discussed the subject of assumption in the verses of the Holy Koran. Koran discussed the phenomenon of good and ill thoughts, in terms of the problematic impact of its effect on severing or strengthening the relation of the Muslim community, and its effect on causing people to separation, hatred and fight. So how did the Qur'an deal with all those problems related to conjecture? What is the meaning of dhan in language and Koran? How many times was the word dhan occurred? How was it presented by the Holy Koran? How ill thoughts were addressed in building of Muslim Society? The research aimed at defining the different meanings of dhan in the language of Arabs and its Koranic context, and presentation of the number of assumption as well as exploration of good and ill thoughts, and to define how Koran addressed ill thoughts in Muslim Society. The researchers applied the inductive methodology in induction of the number of times when the word "dhan" occurred in the Koran and its meanings in language and Koran, and the analytical methodology in analysis of some meanings as well as the deductive methodology to learn the related lessons and benefits. The researchers drew several conclusions, mainly that the term "dhan" and its derivatives were repeated in the Holy Koran for approximately ٦٨times. Allah, the Almighty, didn't describe believers with ill thoughts at all, except for what was said in the Saying of Allah, Almighty, "Till, when the messengers despaired and thought that they were denied". Concerning infidels and hypocrites, only ill thoughts were mentioned in their respect. Derivation of the term that described them multiplied. To eradicate the motivations of discord in the emerging Muslim Society, Koran worked on purgation of Muslims psyches from ill thoughts and its reasons among them, and praised those who prioritize good thoughts on other types of assumption in their beliefs about their brothers whom they know to be benevolent and well guided. As for verification of news and conditions of other people who ignore its religion, Koran didn't prevent them from this. Koran urgent them to be assured.

Keywords: Interpretation, good thoughts, ill thoughts, chapter, verse

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الكريم، وبعد.

فإن من فضل الله علينا أن جعل لنا القرآن الكريم كتاب هداية به نسترشد ونهتدي، وأودع فيه أسرار حكمته، فعجائبه لا تنتهي، وحكمه لا تنقطع، والناظر فيه يجد فيه من زاخر العلوم ما يشبع نهمه، وقد أولاه المسلمون عناية كبيرة حفظًا ودرايةً، تجويدًا وتفسيرًا، بل إن اهتمام المسلمين بتفسيره اطرد حتى تنوع وتفرع، بداية من التفسير بالمأثور إلى التفسير بالرآي ثم التفسير التحليلي ثم التفسير الموضوعي الذي يتناول هذا البحث جانبًا منه، تحت عنوان "**الظن في ضوء القرآن الكريم**" وقد عرض هذا البحث أهم المواضع التي وردت فيها مفردات الظن بما يعطي تصوراً كلياً لاستعمالات الظن في القرآن الكريم وعدد مرات وروده، والاستعمال الدقيق للكلمة بين المؤمنين والمنافقين والكافرين، والله نرجو أن تكون هذه الدراسة إسهاماً علمياً نافعاً، تفتح الأبواب لدراسات موضوعية أكثر عمقًا وتوسعًا.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة هذا البحث في موضوع الظن، من حيث تأثيره أو عدم تأثيره في قطع الروابط في المجتمع المسلم، وأثر ذلك في حمل الناس على التدابر والشحناء والقتال؛ ومدى حرص القرآن على علاج كل تلكم المشكلات، ويمكن صياغة ذلك في الأسئلة الآتية:

ما أهمية موضوع الظن في القرآن الكريم؟

- كم مرة وردت كلمة الظن في القرآن الكريم؟
- ما المعاني التي يمكن أن تحمل عليها كلمة الظن في القرآن الكريم؟ وكيف تم عرضها؟
- ما موقف القرآن من الظن؟ وعلى ما يحمل كل لفظ منها؟
- هل وصف القرآن الكريم المؤمنين بسوء الظن؟ وما توجيه المفسرين له حيث ورد؟
- كيف عالج القرآن المجتمع المسلم من ظاهرة سوء الظن؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى إبراز طريقة القرآن الكريم في التعامل مع الظن من حيث كونه ظاهرة اجتماعية، وكيفية تعامله معه حسب مواضع وروده في القرآن الكريم، وبيان أسلوب القرآن في نقاش الموضوع مع تتعدد طوائف المجتمع في ذلك الوقت: (مؤمن، منافق، كافر)، وكيف حمى القرآن المجتمع المسلم من بواعث الشقاق التي تنبع من سوء الظن رغم وجود الدخيل الذي لا ينتمي إليه، لكنه يعد جزءًا من المجتمع المسلم في ذلك الوقت أو لنقل مجتمع المدينة المنورة.

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث من أهمية موضوعه وهو القرآن الكريم ودراسته دراسة تفصيلية، فهو أشرف الكتب وأولاها بالعانية، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن موضوع الظن ذو أهمية بالغة؛ إذ تعد الروابط الاجتماعية القوية من أسس البناء القوي للمجتمع الذي ينشده الإسلام، وتفشي ظاهرة سوء الظن تهدم هذه الروابط، لذلك تُعَدُ دراسة الموضوع ذات أهمية بالغة بالنسبة للمسلمين بوجه عام؛ لأنها تشد من روابط المجتمع وتنزهه من بواعث الشقاق والفرقة.

المصطلحات والمفاهيم:

المصطلحات الواردة في الدراسة هي مصطلحات مشتهرة نحو: (الظن، وحسن الظن، وسوء الظن، والظاهرة، والمؤمن، والمنافق، والكافر) وتكاد أن تكون من المعلوم بالضرورة، فلا داعي لتخصيص شرح لها هنا، علماً أنه قد جرى شرح بعضها في مباحث الدراسة، ولم ترد أي مصطلحات أو مفاهيم أخرى شاذة عن الاستعمال العام في هذه الدراسة.

الدراسات السابقة:

توصل الباحثان إلى أربع دراسات منشورة حول الموضوع وهي:

١. **حسن الظن بالله في ضوء القرآن الكريم**، للباحث: أبو صفا، انشراح حسني علي، جامعة النجاح الوطنية: دراسة موضوعية نشرت عام (2019)، وقد تناولت الدراسة

موضوعا محددًا من مواضيع الظن، حيث اقتصر البحث على جانب واحد من دلالة الظن في القرآن الكريم وهو الظن الحسن، والاستعمال القرآني له وللألفاظ المتعلقة به ثم آثاره الدنيوية والأخروية، بينما تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على موضوع الظن بصفته وحدة كلية وبشقيه الحسن والسيئ.

٢. **موارد الظن في القرآن الكريم**، للباحث: بابكر، قريب الله بابكر مصطفى، السودان، جامعة أم درمان الإسلامية – كلية اللغة العربية، وهي دراسة وصفية نحوية دلالية نشرت عام (2017)، تناول البحث فيها الظن في القرآن الكريم من الناحية البيانية، فناقش دلالة اللفظ وتركيبه اللغوي وما اشتق منه متبعاً في ذلك منهج البحث الوصفي، بينما اهتمت هذه الدراسة بإلقاء الضوء على الظن من الناحية الموضوعية بصفته وحدة كلية مترابطة.

٣. **الظن في القرآن الكريم**، للباحث: عبد، عقيل عكموش، العراق، جامعة القادسية – كلية التربية: وهي دراسة في مفهوم التضاد نشرت عام (٢٠٠٥)، حيث هدفت إلى تتبع مفردة الظن واشتقاقاتها من الناحية البيانية ودلالاتها اللغوية في ضوء السايقات المختلفة والمقارنة بينها، وعليه فهي تختلف أيضاً عن الموضوع الذي سيناقشه هذا البحث إذ إنه دراسة موضوعية.

٤. **الظن بين الناس في القرآن الكريم**، للباحثة: الراشد، فلوة بنت ناصر بن حمد، السعودية، جامعة الملك سعود (كلية التربية للبنات): وهي دراسة موضوعية نشرت عام (٢٠٠٤)، قسمت فيه الباحثة الموضوع إلى سبعة مباحث، وهي من أجمل الدراسات التي اطلعنا عليها في موضوع الظن من حيث استفاء الموضوع والتوسع في نقاش المفردات، لكن من وجهة نظر الباحثين أن هذا التوسع في تفسير المفردات جعلها أقرب إلى منهج التفسير التحليلي منها عن التفسير الموضوعي، إضافة إلى تحيز الباحثة تحيزاً مذهبياً في تفسير بعض مقتضيات ألفاظ الظن، كما أنه مر عليها عقدان من الزمان، وأما هذا البحث فيسعى إلى مناقشة الظن نقاشاً موضوعياً باعتباره كلاً مترابطاً.

منهج البحث:

اتبعنا في هذه الدراسة عدة مناهج هي: (المنهج الاستقرائي، والتحليلي، والاستنباطي). حيث قمنا باستقراء مواضع ورود الظن في القرآن الكريم واستقراء تفسير آيات الظن في بعض كتب التفسير، كما قمنا بتحليل مواضع ورود الظن ومعانيها وحمل الاستعمالات المتشابهة على بعضها محاولين الجمع بينها للخروج بدلالة مترابطة، وأضفنا إليها شيئاً من كتب المفردات والوجوه والنظائر، لتمام الفائدة، ثم اتبعنا المنهج الاستنباطي لاستخراج أهم العبر والدلالات التي ترشد إليها الآيات، واستنباط المنهج القرآني في التعامل مع ظاهرة الظن في المجتمع المسلم.

حدود البحث:

مناقشة ٤٨ موضعاً لمفردة الظن في نحو ٢١ سورة من القرآن الكريم، لتمثل عينة الدراسة والتي نرى أنها تمثل صورة شاملة لاستعمالات الكلمة في القرآن الكريم، حيث قام الباحثان بحمل الدلالات المتكررة للفظ في بقية المواضع على دلالة المواضع المذكورة.

أدوات البحث وخطته:

للوصول إلى نتائج الدراسة وفق منهج علمي قمنا بالآتي:

- جمع المادة العلمية من مصادرها، وتتبع جذور الموضوع علمياً.
- صياغة أسئلة الدراسة صياغةً علميةً بطريقة إجرائية قابلة للبحث والتتبع.
- تتبع دلالات النصوص من خلال المصادر واتباع مناهج البحث العلمي وأدواته للوصول إلى النتائج.
- صياغة خطة الدارسة ومادتها ونتائجها صياغة علمية.
- كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني، وتوثيقها في متن النص، بكتابة اسم السورة ورقم الآية بين معكوفتين، مثلًا: الضحى -[١].
- عزو الأحاديث إلى مصادرها في كتب السنة.
- وضع علامات الترقيم وفق النظام المتبع في الأبحاث العلمية.

- تقسيم المادة العلمية -بحسب ما تقضيه طبيعة البحث-، إلى مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.
- عزو الأقوال المقتبسة بنصها إلى قائليها، ووضعها بين قوسين -حسب المتبع بضوابط المجلة-.
- توثيق المصادر بالحاشية -حسب ضوابط المجلة-، بذكر بيانات المصادر، ورقم الجزء والصفحة.
- تذيل البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها الباحثان.
- تذييل البحث بقائمة المصادر والمراجع التي تم الرجوع إليها في البحث.
- كتابة ملخص الدراسة باللغتين العربية والإنجليزية.

خطة الدراسة: الظن في آيات القرآن الكريم

المبحث الأول: مفهوم الظن والفرق بينه وبين الشك.

المطلب الأول: الظن لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: الظن وروده في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: الفرق بين الظن والشك.

المبحث الثاني: موضوع الظن في القرآن الكريم.

المطلب الأول: سوء الظن صفة الكافرين والمنافقين.

المطلب الثاني: خلق المؤمن حسن الظن بالله.

المطلب الثالث: انشار سوء الظن هدم لبناء المجتمع المسلم وتماسكه.

المبحث الثالث: علاج القرآن لظاهرة سوء الظن في المجتمع المسلم.

المطلب الأول: تطهير النفوس من بواعث سوء الظن والتوجيه إلى الأخوة وحس الظن.

المطلب الثاني: التحذير من سوء الظن وبيان عواقبه الدنيوية والأخروية.

الخاتمة:

المبحث الأول

مفهوم الظن والفرق بينه وبين الشك.

المطلب الأول: الظن لغة واصطلاحا.

الظن لغة: الظاء والنون أصيل صحيح يدل على معنيين مختلفين في اللغة هما: اليقين والشك [١]، والظن: "إدراك الذهن الشيء مع ترجيحه وقد يكون مع اليقين، ويجمع على ظنون وأظانين"[٢]، وعليه فالظن درجة من درجات العلم وهو فوق الشك ودون اليقين، لكن غالب استعمال الظن للتوهم والشك، فيقال: ظَنَنْتُ الشَّيْءَ إِذَا لَمْ تَتَيَقَّنْهُ، وَمِنْ ذَلِكَ الظِّنَّةُ أي التُّهْمَةَ، وَالظَّنِينُ هو الْمُتَّهَمُ، وبذلك فسرت كلمة الظنين في قراءة من قرأها بالظاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ التكوير [٢٤]، والظَّنُونُ: الرجلُ السَّيِّءُ الظن بكل أحد، ويقال: ظِنَّةُ الشيء بمعنى مكانه ومحله الذي يغلب وجوده فيه أو يغلب ملازمته له. وإن استعمل الظن لليقين تكون (ظنّ) بمعنى: علم أو تيقن، كقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَكْبَرَهُۥ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾﴾ القصص [٣٩] أي تيقنوا واعتقدوا أنهم لا يرجعون، وكقوله: ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ الحشر [٢] أي: اعتقدوا اعتقادًا كانوا منه في حكم المتيقّنين له[٣].

(١) ينظر: ابن فارس؛ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي – ت: ٣٩٥هـ، **معجم مقاييس اللغة** –تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (الأردن – عمان – دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م)، ج٣، ص:٤٦٢.

(٢) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، **المعجم الوسيط**، (القاهرة — دار الدعوة)، ج٢، ص:٥٧٨.

(٣) ينظر: الأزدي؛ أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١هـ)، **جمهرة اللغة** — تحقيق: رمزي منير بعلبكي، (بيروت – دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م)، ج١، ص:١٥٤. والأصفهاني؛ أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب – ت: ٥٠٢هـ، **المفردات في غريب القرآن** — تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (دمشق – دار القلم وبيروت – والدار الشامية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م)، ص:٥٣٩–٥٤٠. والعسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران — ت: ٣٩٥هـ، **الوجوه والنظائر** — تحقيق: محمد عثمان، (القاهرة – مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م)، ص:٣٣٢. والفراهيدي؛ أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت ١٧٠هـ)، **كتاب العين** – تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم =

الظن اصطلاحا: لم يختلف التعريف الاصطلاحي للظن عن التعريف اللغوي كثيراً بل جاء مطابقا له فقد عرفه الجرجاني -رحمه الله- بأنه: "الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض، ويستعمل في اليقين والشك. وقيل: الظن أحد طرفي الشك بصفة الرجحان"(١). وعرفه السنيكي -رحمه الله- في الحدود الأنيقة بأنه: "الطرف الراجح من التردد بين أمرين"(٢)، وعرفه النيسابوري -رحمه الله- بقوله: "هو الاعتقاد الراجح فإن كان عن أمارة قوية قبل ومدح وعليه مدار أكثر أحوال العالم، وإن كان عن أمارة ضعيفة ذم ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ الحجرات [١٢] "(٣).

وعلى أي حال فإن الظَّنَّ في كثير من الأمور مذموم لكون غالب استعماله للتوهم والشك كما سبق ذكره في التعريف اللغوي، ولذلك قال تعالى عنه: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾ يونس [٣٦]. كما أن الظن على أربعة أقسام من جهة الشرع: (محظور، وواجب، ومندوب إليه، ومباح)؛ فالمحظور: سوء الظن بالله، وأما الظن الواجب: فنحو ما تعبدنا بإنفاذ الحكم فيه وإن لم ينصب عليه دليل، نحو: قبول شهادة العدول، وتحري القبلة، وأروش الجنايات التي لم يرد بها توقيف، وأما المباح: فكالظنِّ في الصلاة، فقد أمر فيه المصلي بالعمل

=

السامرائي، (بيروت – دار ومكتبة الهلال، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م)، ج٨، ص:١٥١-١٥٢. وابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن على، جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١هـ)، **لسان العرب**، (بيروت – دار صادر، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ج١٣، ص:٢٧٢-٢٧٥.

(١) الجرجاني؛ علي بن محمد بن علي الزين الشريف – ت: ٨١٦هـ، **كتاب التعريفات** – ضبطه وصححه جماعة من العلماء، (بيروت – دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م)، ص: ١٤٤.

(٢) السنيكي، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (ت ٩٢٦هـ)، **الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة** – تحقيق: د. مازن المبارك، (بيروت – دار الفكر المعاصر، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م)، ص٦٧.

(٣) – النيسابوري؛ نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي (ت ٨٥٠هـ)، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان** – تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، (بيروت – دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٦/١٩٩٥م)، ج١، ص:٢٣٧.

على غالب الظن عند الشك فإن هو أتم العمل على غلبة الظن عنده كان فعله مباحًا، وإن عدل عن الظن إلى البناء على اليقين وأعاد كان جائزًا، والمندوب إليه نحو: حسن ظن المسلم بأخيه المسلم الذي يستفاد من قول الله تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ النور [١٢] (١).

المطلب الثاني: الظن وروده في القرآن الكريم.

ورد الظن على خمسة أوجه في القرآن الكريم هي: **الشك:** كقوله تعالى في البقرة: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ البقرة [٧٨] و ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ الجاثية [٣٢]. **العلم أو اليقين:** كقوله تعالى في البقرة: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾ البقرة [٤٦]، وقوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ﴾ البقرة [٢٤٩] وقوله ﴿إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ البقرة [٢٣٠] بمعنى تيقنا أو غلب في أمرهم اليقين، وكقوله: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ سورة ص [٢٤] أي علم. **التهمة:** كقوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ الأحزاب [١٠] وقوله: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ التكوير [٢٤]. **الحسبان:** كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾﴾ الانشقاق [١٤] وكقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ فصلت [٢٢، ٢٣] وكقوله: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ يوسف [٤٢] (٢).

(١) ينظر: الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ص:٥٣٩-٥٤٠. والعسكري، **الوجوه والنظائر**، ص:٣٣٢- ٣٣٣، وابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج٣، ص:٤٦٢-٤٦٣.

(٢) ينظر: ابن الجوزي؛ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر** – تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، (بيروت – مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م)، ج١، ص٤٢٥. والدامغاني؛ الحسين بن محمد الدامغاني – ت: ٤٧٨هـ، **قاموس= =القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم** – تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، (بيروت – دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، ١٩٨٣)، ص:٣١١-٣١٢.

والوجه الخامس زاده ابن عاشور -رحمه الله- وهو **الاعتقاد** حيث قال: "إن الظن يطلق على مراتب الإدراك، فيطلق على الاعتقاد الجازم الذي لا يشوبه شك، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ البقرة [٤٥، ٤٦]، ويطلق على الاعتقاد المشوب بشك، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ الأعراف [٦٦]، وقوله: ﴿وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ التوبة [١١٨]، وقد أطلق مجازاً على الاعتقاد المخطئ، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ الحجرات [١٢] أي بعض الاعتقاد، وقول النبي -عليه الصلاة والسلام-: (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث) (١). والظن كثر إطلاقه في القرآن والسنة على العلم المخطئ أو الجهل المركب والتخيلات الباطلة. وقد يطلق على الظن الحصيبي كقوله تعالى: ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ النور [١٢]، وهذا المعنى هو المصطلح عليه عند علماء أصول الدين وأصول الفقه. وهو العلم المستند إلى دليل راجع مع احتمال الخطأ احتمالاً ضعيفاً"(٢).

وحاصل المقام إذا وجد الظن محمودًا مثابًا عليه فالمراد به (اليقين)، وإذا وجد مذمومًا متوعدًا عليه بالعذاب فالمراد به (الشك)، وكل ظن تتصل به (أن المخففة) فالمراد به (الشك) نحو قول الله تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ﴾ الفتح [١٢]، وكل ظن تتصل به (أنّ

(١) رواه البخاري: البخاري؛ محمد بن إسماعيل الجعفي أبو عبدالله، **الجامع المسند الصحيح أو صحيح البخاري** – تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (بيروت – دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م)، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، رقم الحديث: ٦٠٦٤، ج٨، ص:١٩.

(٢) ابن عاشور؛ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ت:١٣٩٣هـ، **التحرير والتنوير** «**تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**»، (تونس – الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤)، ج١١، ص:١٦٥-١٦٦ بتصرف.

المشددة) فالمراد به (اليقين) كما في قوله تعالى﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠)﴾ الحاقة [٢٠] .[١]

المطلب الثالث: الفرق بين الظن والشك.

يعد الظن ضرباً من أفعال القلوب التي تحدث عند بعض الأمارات وهو رجحان أحد طرفي التجوز، فإذا زادت تلك الأمارات وغلبت على صاحبها ببعض ما تقتضيه من معنى سمي ذلك غلبة الظن، والظن بهذا الوصف لا يكون شكًا؛ لأن الفرق بين الظن والشك أن الظن في الأصل: قوة أحد الشيئين على نقيضه في النفس ورجحان أحد طرفي التجويز، وأما الشك فهو: التردد في أمرين لا مزية لأحدهما على الآخر، فهو استواء طرفي التجويز، كما أن الشك يجوّز كون ما شك فيه على إحدى الصفتين؛ لأنه لا دليل هناك ولا أمارة للترجيح، وأصل الشك في العربية من قولك شككت الشيء إذا جمعته بشيء تدخله فيه، لذا كان الشك اجتماع شيئين في الضمير. وأما الفرق بين الظن والحسبان القريب من الشك أن الظن ضرب من الاعتقاد في أحد معانييه، وأما الحسبان فلا يأتي دائماً بمعنى الاعتقاد، فأصله من الحساب ثم كثر حتى سمي الظن حسباناً على جهة التوسع وصار كالحقيقة بعد كثرة الاستعمال، كما يستعمل الظن في ما يدرك وفي ما لا يدرك، وأما التصور فيستعمل في المدرك دون غيره، والفرق بين التصور والتوهم أن تصور الشيء يكون مع العلم به، وأما توهمه فلا يكون مع العلم به؛ لأن التوهم من قبيل التجويز، والتجويز ينافي العلم[٢].

(١) ينظر: الزركشي؛ أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر – ت ٧٩٤هـ، **البرهان في علوم القرآن** – تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت – دار المعرفة، دمشق – دار إحياء الكتب العربية، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م)، ج٤، ص: ١٥٦– ١٥٧.

(٢) ينظر: العسكري؛ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران – ت: ٣٩٥هـ، **الفروق في اللغة** – تحقيق: محمد باسل عيون السود، (بيروت – دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠)، ج١، ص:١٠٧-١٠٧. وابن الجوزي، **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، ج١، ص:٤٢٤.

المبحث الثاني: موضوع الظن في القرآن الكريم.

المطلب الأول: سوء الظن صفة الكافرين والمنافقين.

لا يزال القرآن الكريم يحذر أتباعه المؤمنين من اتباع الكثرة التي لا يقين لها ولا دليل سوى سوء الظن والأوهام التي لا تستند إلى دليل ولا برهان ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾ الأنعام [١١٦]، أي يقدّرون أو يكذبون لأنّ أكثر الناس في غالب الأمور يتبعون أهواءهم(١)، والآية كما يقول صاحب التحرير والتنوير "لم تقتض أن أكثر أهل الأرض مضلون، لأن معظم أهل الأرض غير متصدين لإضلال الناس، بل هم في ضلالهم قانعون بأنفسهم مقبلون على شأنهم، وإنما اقتضت أن أكثرهم كذلك -إن قبل المسلم قولهم- لأنهم لا يلقون عليه إلا ضلالهم"(٢). وذلك لأن الحق والهدى يحتاج إلى عقول سليمة ونفوس فاضلة، وتأمل في الصالح والضار، وتقديم الحق على الهوى، وهذه صفات إذا اختل واحد منها تطرق الضلال إلى النفوس، وإنّ اجتماع هذه الصفات الفاضلة في النفس الواحدة لا يكون إلا عن اعتدال تام، وذلك بتكوين الله وتعليمه؛ وهي حالة الرسل والأنبياء ومن اصطفى الله تعالى.

فطاعة الكافرين في آرائهم وأفكارهم التي يلقونها على المؤمنين، وتقليدهم في عادتهم وأفعالهم؛ اتباع للظن الذي يعتقدونه ويميلون إليه، وهم في الحقيقة لا يتبعون سوى الاعتقاد الخاطئ عن غير دليل، ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ الأنعام [١١٦] خرصًا أي يحزرون حزرًا وتقديراً، أو يكذبون كذبًا، وأصل الخرص: الحزر والتقدير للشيء بالتخمين الذي لا يجري

(١) ينظر: الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت ٥٣٨هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، (بيروت – دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م)، ج٢، ص:٦٠.

(٢) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٨-أ، ص:٢٥.

على قياس من وزن أو كيل أو ذراع، فهو كخرص الثمر على الشجر والحب في الزرع[١]، ولكثرة الخطأ فيه أطلق على لازمه الغالب وهو الكذب، فالظن الذي يبنى عليه يكون من أضعف الظن وأبعده عن الحق[٢]، وجملة: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ الأنعام [١١٦] "استئناف بياني، نشأ عن قوله: يضلوك عن سبيل الله، فبيّن سبب ضلالهم: أنهم اتبعوا الشبهة، من غير تأمل في مفاسدها"[٣]. فهم يظنون أن لله شركاء ولا يحققون هذا الظن ولا يمتحنونه عملاً ولا عقلاً، وهم يظنون أن آباءهم ما كانوا ليعبدوا هذه الأصنام لو لم يكن فيها ما يستحق العبادة ولا يمتحنون هذه الخرافة ولا يطلقون لعقولهم العنان من إسار التقليد الظني لآبائهم، وهم يظنون أن الله لا يوحي إلى رجل من البشر، وهم يظنون أن القرآن من عمل محمد، ولا يتحققون إن كان محمد –وهو بشر– قادراً على تأليف هذا القرآن، بينما يرون أنفسهم أنهم غير قادرين عليه وهم بشر مثله. وهكذا يعيشون في مجموعة من الظنون التي لا تحق لهم من الحق شيئاً، والله وحده هو الذي يعلم علم اليقين سوء أفعالهم وأعمالهم وظنونهم[٤]. كما نجد أن الكافرين لا يزالون يتبعون الخرص والظن الذي لا يستند إلى دليل في الدين والعقيدة إلى يومنا هذا، فيتركون العلم المستيقن من الشريعة الإلهية والنواميس الكونية ويتبعون تلك الظنون والحدس والاجتهادات التي يسمونها بالنظريات الإنسانية من تجارب بشرية وظنون دنيوية سفلية، والظن والحدس والخرص بهذا المعنى لا يقود إلى حق ولا ينتهي المطاف به إلا إلى باطل لأنه لم يعتمد على شريعة كاملة، وهم مع هذا كله ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ﴾ النجم [٢٨]، فالحق المحض في معرفة الفطرة

(١) ينظر: الفراهيدي، **كتاب العين**، ج٤، ص:١٨٣. وابن منظور، **لسان العرب**، ج٧، ص:٢١-٢٣.

(٢) رضا؛ محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين القلموني الحسيني – ت: ١٣٥٤هـ، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، (مصر – نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠)، ج١١، ص:٣٧١.

(٣) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٨-أ، ص:٢٧.

(٤) ينظر: قطب؛ سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي – ت: ١٣٨٥هـ، **في ظلال القرآن**، (القاهرة – دار الشروق، الطبعة السابعة عشر، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م)، ج٣، ص:١٧٨٤.

البشرية وطبيعة ما يصلحها من التشريع الذي هو لله وحده، وأما الظن فلا يوصل إلى هذه الحقيقة ولا يغني عنها في شيء ولا يقوم مقامها على الحقيقة واليقين في حال من الأحوال.(١)

لذا أكد الله سبحانه وتعالى فساد اتباع هدىً غير هداه، وأن جميع من يدعى الهداية غيره إنما هو على ظن كاذب وحسبان لا دليل له، مشيرًا لتفرده بالهداية إلى الحق فقال: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ﴾ يونس [٣٥، ٣٦]، أي إن الظن في معرفة الله لا يغني من العلم شيئا؛ لأن أمر الدين إنما يبنى على العلم، وبه يتضح الحق من الباطل، والظن لا يقوم مقام العلم في ذلك، ولا تدرك به الحقيقة(٢)، وقال في آية أخرى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ الأعراف [١٩٤]، كما أن في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾ يونس [٣٦] "بيان لحال المشركين الاعتقادية، في إثر إقامة أنواع الحجج على توحيد الربوبية والإلهية، بأسلوب الأسئلة والأجوبة المفيدة للعلم، والهادية إلى الحق، ومنها أنه ليس في شركائهم من يهدي إلى الحق المطلوب في العقائد الدالة على ارتقاء العقل وعلو النفس، وهو أن أكثرهم لا يتبعون في شركهم وعبادتهم لغير ربهم ولا في إنكارهم للبعث وتكذيبهم للرسول -صلى الله عليه وسلم- إلا ضربا من ضروب الظن، وأما غير الأكثرية منهم فكانوا يعلمون أن ما جاءهم به الرسول هو الحق والهدى، وأن أصنامهم وغيرها مما عبدوا لا تنفع ولا تشفع، ولكنهم يجحدون بآيات الله، ويكذبون رسوله عناداً

(١) ينظر: النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ج٣، ص:٥٨٢.

(٢) ينظر: الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج٢، ص:٣٤٦. والشوكاني؛ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (ت ١٢٥٠هـ)، **فتح القدير**، (دمشق - دار ابن كثير/وبيروت - دار الكلم الطيب، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ج٢، ص:٥٠٦.

واستكباراً في الأرض، وضناً برياستهم وزعامتهم أن يهبطوا منها إلى اتباع من دونهم ثروة وقوة ومكانة في قومهم"(١).

والعبرة للمؤمن في هذه الآية وأمثالها من آيات الكتاب المحكمات في أصول الإيمان والإسلام، أن يكون غرضه من حياته تزكيةَ نفسه وتكميلها باتباع الحق في كل اعتقاد، والهدى والصلاح في كل عمل، وبناءَهما على أساس العلم دون ظن وشك أو ما دونهما من خرصٍ أو وهمٍ، فالعلم المفيد للحق والمبين للهدى في الدين هو ما كان قطعي الرواية والدلالة من الكتاب والسنة، وهو الشرع العام الذي لا يجوز للمسلمين التفرق عنه أو الاختلاف فيه، إذ هو مناط وحدتهم، ورابطة جامعتهم، وأما ما دونه مما لا يفيد إلا الظن والاحتمال فلا يؤخذ به في الاعتقاد، وهو متروك لمجال الاجتهاد في الأعمال؛ كاجتهاد الفقهاء في جديد النوازل ونحوها، واجتهاد أولي الأمر في القضاء والإدارة والسياسة، مع تقييدهم في ذلك كله بالشورى لاستبانة العدل والمساواة والمصالح العامة(٢).

وإلى يومنا الحاضر –رغم التطور العلمي الهائل– لا يوجد في الأرض إلى الآن دين متبع ولا قانون دولي منفذ ولا نظام حزبي أو جماعي يفرض على الناس فرضاً يلتزم الحق والهدى ويعتمد على الشورى في المصالح العامة غير ما أقره الإسلام من تشريع ونظام متكامل، ولن يصلح حال البشر الفردي ولا الاجتماعي ولا الدولي إلا بأصول التشريع التي فرضها الإسلام وجعلها دينًا يدان به لله وحده، وقد عجزت علوم البشر على اتساعها، وعقولهم على ارتقائها عن الاستغناء عنها بغيرها ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ الروم [٣٠]، فالبشرية كلما ازدادت علماً لا تتبع فيه هدى الله؛ ازدادت باطلاً وضلالاً وبغياً لاتباع الهوى والظن في تفسير حقيقة نواميس الكون وتركهم للعلم اليقين، وهذا الأمر خلافاً لما يروج له دعاةُ حضارتهم الكاذبون الذي يروجون للحقوق والحريات الباطلة

(١) رضا، **تفسير المنار**، ج١١، ص:٢٩٨.

(٢) المرجع نفسه، ج١١، ص:٢٩٩.

ويزينوها للناظرين، وتجد خفاف العقول من المسلمين يصمون آذانهم عن الحق والدعوات الإلهية في كتابه بكشف زيف اعتقادهم وبطلان أمانيهم وأسلافهم، وقد حذر القرآن المسلمين بصيغ عدة، منها قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ البقرة [١٤٢] وقوله: ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ آل عمران [٦٩] وقوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ البقرة [١٠٩]. وينقل محمد رشيد رضا -رحمه الله- في تفسيره عن هربرت سبنسر الإنكليزي[1] قوله: إن فكرة الحق قد زالت من عقول أمم أوربة ألبتة، فلا يعرفون حقا إلا للقوة، وإن الأفكار المادية قد أفسدت أخلاقهم، وإنه لا يرى من سبيل إلى علاجهم، وإنه لا يزال بعضهم يختبط ببعض ليتبين أيهم الأقوى ليسود العالم. وقد وقع ما توقعه في سنة (١٩٠٣م) بالحرب الكبرى مدة أربع سنين من (١٩١٤م – ١٩١٨م) فازدادت الأمم والدول شقاءً وفساداً وطغياناً، حتى جزم كثير من عقلائهم بأنه لا علاج لهذا الفساد في البشر إلا الهداية الروحية الدينية، وسيعقدون لذلك مؤتمرات ولن يجدوا العلاج المطلوب إلا

(١) هربرت سبنسر: هو فيلسوف بريطاني عاش بين عامي(١٨٢٠ – ١٩٠٣) وهو ابن معلم ابتدائي، شغف منذ حداثته بالعلوم الطبيعية والتاريخ، وبالمناقشات العلمية والسياسية والدينية، كان مهندس سكك حديد بضع سنوات، وشغل بمسألة التطور حين قرأ كتاب ليل Lyell في طبقات الأرض الذي كان في طبعاته الأولى يعارض نظريات لامارك، وخرج من دراسة علم الأجنة بأن التطور هو الانتقال من المتجانس إلى المتنوع، وأنه قانون الطبيعة. ونظر في المذهب الحسي كما كان إلى وقته وتفسيره محتوى الوجدان من أفكار وعواطف بالتجربة الفردية، فارتأى أن هذا المحتوى يفسر بتجربة النوع تتعين وتتطور بالوراثة، فدون كتابًا أسماه (مبادئ علم النفس- ١٨٥٥) عرض فيه هذا الرأي ونظرية التطور في جملتها. وأول عرض قام به لفلسفة التطور ظهر= = في مقال عنوانه (التقدم قانونه وعلته-١٨٥٧) فذكره داروين في مقدمة كتابه (أصل الأنواع) بين الذين سبقوه إلى نظريته. ثم رأى أن نسبية المعرفة على طريقة كنط وهاملتون ومنسل، تسمح له بإفساح مجال للدين إلى جانب مجال العلم وبناء فلسفة شاملة، فشرع يدون كتبه الكبرى في "الفلسفة التركيبية" حيث جمع علوم العصر كلها مؤلفة في مذهب متسق حول مبدأ التطور، أي: إنه وضع الفلسفة التركيبية الموضوعية التي كان أوجست كونت قد قال باستحالتها لاستحالة الانتقال التدريجي من مرتبة إلى أخرى من مراتب الوجود. [كرم، يوسف بطرس (ت ١٩٥٩ م)، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، (مكتبة الدراسات الفلسفية، الطبعة: الخامسة)، ص:٣٥٦.]

في هذه الأصول من القرآن[١]. ولكنهم يصمون آذانهم عن الهداية بالتكذيب والاستهزاء وإلقاء التهم على الإسلام وأتباعه، حالهم كحال فرعون: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ القصص[٣٨].

ولا يزالون مستكبرين يعلنون العداوة على الإسلام والمسلمين في كل الميادين، فتارة بالاستهزاء بالرسول الكريم بدعوى حرية التعبير، كأن لسان حالهم يحكي ﴿لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ القصص [٣٨] شكاً من أنفسهم وظناً في كذب محمد صلى الله عليه وسلم، ويظنون بمكرهم هذا أنهم بعيدون عن السنن الإلهية التي تأخذهم من حيث لا يشعرون. وتارة تجدهم يجندون قواهم لقمع المسلمين الضعفاء في ربوع الأرض ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ فاطر [٤٣]، وكأنهم في غفلة عن سنن الله، صامون آذانهم مغلقون أعينهم عن الهداية ظناً بأنهم لا تقهرهم القوى كفعل فرعون الذي طغى ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾﴾ القصص [٣٩].

ومع هذا لم يُقَّنِط القرآن اتباعه من المواصلة في الصدع بالحق وإغفال دعوات الكافرين والمعاندين، الذين يتقولون على الله وعلى رسوله عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يونس [٦٥، ٦٦]، فليس من سبيل المسلم الحزن على تقولات المشركين وتأفكهم على الله ورسوله أو على دينه، فليست العزة والقوة والمنعة إلا لله وحدة ولا

(١) ينظر: رضا، **تفسير المنار**، ج١١، ص:٣٠٠ – بتصرف.

يملك أحد من دونه شيئا إلا بالتبعية لله ولرسوله وللمؤمنين، وليس للكثرة ولا للقوة ميزان معها ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ المجادلة [٢١]. وكل من في السماوات والأرض من العقلاء هم عبيد لله وحده يصرفهم كيف شاء، وإن ادعوا الألوهية أو عظمهم الناس لملكهم أو ثروتهم أو قوّتهم، أو أشركوا بهم مع الله أو أطاعوهم في الباطل ظناً بقدرة قوتهم ونفوذهم، فليست تلك الأمور إلا ظنوناً باطلة فالشراكة لله محالة ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يونس [٦٦] في دعواهم وتوسلهم واستعاذتهم بغير الله وإنكارهم لقدرة الله على نصر عباده ورسوله متى شاء ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يوسف [٢١].

ومن فضل الله سبحانه وتعالى على المؤمنين أن يريهم عجائب قدرته في هؤلاء –من حيث ضعف المؤمنين– فيخزيهم في أهدافهم ومراميهم، وينزل عليهم الهزيمة والضعف دون عامل من المؤمنين، بل وفي حين يأس من المؤمنين وضعفهم للدفاع عن أرضهم أو دينهم، ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ الحشر [٢] فتجدهم يتهاوون واحداً تلوى الآخر، وتجد من تولى كبر الزعامة منهم في حيرة من أمره، وقد تنزل عليه الهداية وما ظن المؤمنون أن يهتدي، وربما سلط الله بعضهم على بعض في ربوعهم، فدفع شرهم عن المسلمين بشر بعضهم، ولله الحكمة في التدبير والمكر للمؤمنين.

وليس المنافقون من أمة محمد بأفضل حالٍ من المشركين إذ لا تهمهم إلا أنفسهم حين الحاجة إليهم بسبب سوء ظنهم بالله، هكذا وصفهم الله عز وجل في غزوة بدر وفي الأحزاب وغيرهما: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ آل عمران [١٥٤]، فهم أقرب إلى ظنون الجاهلية في الله من ظنون المؤمنين، وفي تفسير هذا الظن الذي تلبس بالمنافقين هنا "احتمالان؛ أحدهما: هو أن ذلك الظن أنهم كانوا يقولون في أنفسهم لو كان محمد محقاً في دعواه لما سلط الكفار عليه وهذا ظن فاسد.

والثاني: أن ذلك الظن هو أنهم كانوا ينكرون الإله العالم بكل المعلومات القادر على كل المقدورات، وينكرون النبوة والبعث، فلا جرم ما وثقوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم في أن الله يقويهم وينصرهم"(١).

ولا عجب في ذلك فهذا ديدن المنافقين في كل عصر﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ النساء [١٤١، ١٤٢]، وهم مع تشابه أفعالهم التي تفضحهم يحسبون أنهم يستترون عن عين الله وأعين المؤمنين والله فاضحهم ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾﴾ محمد [٣٠]، فهؤلاء وأمثالهم لهم الوعيد الشديد على الخلف والنفاق وليسوا بمستترين عن العدالة الإلهية وإن حسبوا أنهم يسترون عن أعين المؤمنين ومعرفتهم ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ فصلت [٢٢]، لذا توعدهم الله بالدرك الأسف من النار لأنهم أعظم خطراً في هدِّ بنيان الوحدة الإسلامية إذ معاولهم تعمل فيها من الداخل.

المطلب الثاني: خلق المؤمن حسن الظن بالله.

المؤمن متعلق قلبه بالله العلي الكبير، دائم الأمل به والرجاء بما عنده من الثواب، متوكل على الله في كل أمور حياته، مصدق لوعد الله ورسوله له بالحسنى؛ لذا كانت أسماء الله الحسنى من أكثر ما تلهج به ألسنة المؤمنين عند السراء والضراء، عند المنح وعند الشدائد،﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ﴾ آل عمران [١٩٤] فهم يتوقعون نيل الثواب من الله، فكان من

(١) الرازي؛ فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي – ت: ٦٠٦هـ، **مفاتيح الغيب**، (بيروت – دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م)، ص:٩، ص:٣٩٤-٣٩٥.

خلقهم حسن الظن بالله وحسن الظن بعباده المؤمنين، فداوموا على العبادة واستعانوا بالصلاة والصبر تأكيداً لحسن ظنهم بالله تعالى، حيث اتبعوا ما أمرهم لأخذ أسباب السعادة التي بيّن لهم أسبابها في قوله: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ البقرة [٤٥، ٤٦]، "وللظن هاهنا تفسيران: أحدهما أنه بمعنى العلم تجوزاً لأن الظن هو الاعتقاد الذي يقارنه تجويز النقيض، وتجويز نقيض لقاء الرب أي البعث والنشور كفر فكيف يمدح به؟! وثانيهما أن الظن بمعناه الحقيقي والمراد بملاقاة الرب إما لقاء ثوابه وذلك مظنون لا معلوم، وإما الموت الذي هو سبب اللقاء ووقته غير معلوم إلا أنه متوقع كل لحظة وقوعاً راجحاً عند المؤمن، لأنه قطع أمله أو لأنه يحب لقاء ربه. ويحتمل أن يقال: معناه على هذا التفسير الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم بذنوبهم، فإن الإنسان الخاشع قد يسيء ظنه بنفسه وبأعماله فيغلب على ظنه أنه يلقى الله بذنوبه، فعند ذلك يتسارع إلى التوبة وذلك من صفات المدح"(١). وعلى كلٍ فالمؤمنون موقنون بثواب الله وبلقائه بالموت أو بالقتل، وإن هذا اليقين لكبير إلا على الخاشعين الذين يظنون اقتراب الموت في كل ساعاتهم، وذلك لأن كل من كان متوقعاً للموت في كل لحظة من حياته فإنه لا يفارق قلبه الخشوع فهو يبادر إلى التوبة والإنابة، لأن خوف الموت مما يقوي دواعي التوبة، ولأنه مع خشوعه هذا لا يأمن تقصيراً جرى منه، فإذا كان حاله ما ذكرنا كان ذلك داعياً إلى المبادرة إلى التوبة، وملاقاته ثواب الرب المظنون، ومع ذلك فالزاهد العابد لا يقطع بكونه ملاقياً لثواب الله بل يظن؛ إلا أن ذلك الظن مما يحمله على كمال الخشوع وأداء الواجب على أكمله(٢).

وهؤلاء المؤمنون لما وطّنوا أنفسهم على القتل أو الموت وغلب على ظنونهم أنهم لا يتخلصون من الموت، لا جرم قيل في صفتهم: إنهم يظنون أنهم ملاقوا الله أي ملاقوا ثواب الله

(١) النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ج١، ص: (٢٧٧-٢٧٨) - بتصرف

(٢) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ص٣، ص:٤٩١ - بتصرف

بسبب هذه الطاعة، وذلك لأن أحداً لا يعلم عاقبة أمره، فلا بد أن يكون ظانًا راجيًا وإن بلغ في الطاعة أبلغ الأمر، إلا من أخبر الله بعاقبة أمره. أو إنهم يظنون أنهم ملاقوا طاعة الله، وذلك لأن الإنسان لا يمكنه أن يكون قاطعاً بأن هذا العمل الذي عمله طاعة، لأنه ربما خالطه شيء من الرياء والسمعة وهو لا يدري، وفي الحديث: (مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ)(١). أو إنهم يظنون أنهم ملاقوا وعد الله بالظفر، وإنما جعله ظناً لا يقيناً لأن حصوله مترتب على أسبابه في الغالب، وقيل: يظنون أي يعلمون ويوقنون أنهم ملاقوا الله؛ لأنه يطلق لفظ الظن ويراد به اليقين على سبيل المجاز(٢).

ومهما اشتد الكرب على المؤمنين تجدهم متشبثين بالله تعالى موقنين بنصره، وإن ضاقت عليهم الأرض بما رحب وضاقت عليهم الدنيا ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾ التوبة [١١٨]، ازدادت قوة إيمانهم وصلابته مع كل محنة وبلاء، واعتقدوا أنه لا ملجأ لهم من سخط الله يلجؤون إليه إلا إليه تعالى، وذلك بأن يتوبوا إليه ويستغفروه ويرجوا رحمته، فهم يعلمون أن المؤمن يبتلى على قدر إيمانه، وهم يعلمون علم اليقين ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ٤٦﴾ البقرة [٤٦] (٣)، وبحسن الظن امتدحهم الله في كتابه فليس من طبعهم سوء الظن أو الخرص في أمور الدين.

ولا يغرنك سوء ظنك في فهم استياء الرسل وظنهم في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠﴾ يوسف [١١٠]، فما ذاك عن شك في القدرة الإلهية بنصرهم، لكنه لملابسات تأخر

(١) رواه مسلم: النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري (ت: ٢٦١هـ)، **المسند الصحيح** – تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، رقم الحديث (٢٩٨٥)، ج٤، ص:٢٢٨٩.

(٢) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٦، ص:٥١٣.

(٣) ينظر: المرجع نفسه، ج١٦، ص:١٦٥. والشوكاني، **فتح القدير**، ج٢، ص:٤٧١.

النصر عليهم فحسبوا أنهم لا ينصرون لأسباب تعود إلى تقصيرهم لا إلى سوء ظنهم بالله، فالآية تحكي صورة رهيبة ترسم مبلغ الشدة والكرب والضيق في حياة الرسل، وهم يواجهون الكفر والعمى والإصرار والجحود، وتمر الأيام وهم يدعون فلا يستجيب لهم إلا قليلاً، وتكر الأعوام والباطل في قوته وكثرة أهله، والمؤمنون في عدتهم القليلة وقوتهم الضئيلة، حتى صار بهم الحال بطبيعتهم البشرية أن يخطر ببالهم حسبان تخلف النصر عليهم لأمر تقتضيه الإرادة الإلهية[1]، فهم يعلمون أنهم ليسوا بأفضل ممن قبلهم من المرسلين كأن حال لسانهم ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾البقرة [٢١٤]، غير أن للسيدة عائشة –رضي الله عنها وأرضاها– في الآية السابقة توجيهًا آخر للسياق الذي وردت فيه كلمة الظن؛ فعن عروة أنه سأل عائشة–رضي الله عنها–: (أَكُذِبُوا أَمْ كُذِّبُوا؟ قالت عائشة: «كُذِّبُوا». قلتُ: فقد استيقنوا أن قومهم كَذَّبُوهُمْ فما هو بالظن؟ قالت: «أجل لعمري لقد استيقنوا بذلك» فقلت لها: وظنوا أنهم قد كُذِبُوا؟ قالت: «معاذ الله لم تكن الرسل تظن ذلك بربها» قلت: فما هذه الآية؟ قالت: «هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم، وصدقوهم فطال عليهم البلاء، واستأخر عنهم النصر حتى إذا استيأس الرسل ممن كَذَّبَهُمْ من قومهم، وظنت الرسل أن أتباعهم قد كَذَّبُوهُمْ، جاءهم نصر الله عند ذلك) [2]اهـ، وهذا الكلام من عائشة– رضي الله عنها– عن تبرأة الرسل من الظن السيئ في نصر الله لهم الذي يفهم من ظاهر الآية.

المطلب الثالث: انتشار سوء الظن هدم لبناء المجتمع المسلم وتماسكه.

(١) ينظر: الثعلبي؛ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٤٢٧هـ)، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن** – تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، (بيروت – دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م) ج٥، ص:٢٦٥. والزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج٢، ص:٥١٠. وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٣، ص:٧٠.

(٢) رواه البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب حتى إذا استيأس الرسل، برقم: (٤٦٩٥)، ج٦، ص:٧٨.

المجتمع المؤمن كغيرهم من المجتمعات الإنسانية، لحمة بشرية تتنفس بأعضاء وجوارح تتشابه مع بقية المجتمعات، يعاني من المشكلات مثل ما تعانيه بقية المجتمعات بسبب الطباع البشرية والنزغات المادية والنفسية، ومن هذه الطباع ما يفت عضد تماسكها وانسجام صياغتها الروحية، فلذا وجب تطهير المجتمع منها، وهذا ما عملت عليه الشريعة الإسلامية، فالقرآن حاله كحال المعالج الذي عمل على اجتثاث زروع الشر وأسباب الفتنة في المجتمع المسلم وتهيئته لأن يكون خليفة لله في أرضه، ومن ضمن هذه النزغات الظن والغيبة التي يعتبرها القرآن شرًا ووبالًا وبلاءً ونقمةً، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ الحجرات [١٢]، والمأمور باجتنابه في هذه الآية هو بعض الظن، وذلك بعض موصوف بالكثرة في استعمال الناس على العموم[١]، وفي قوله (بَعْضَ) بعد (كَثِيرًا) إخراج للظنون التي عليها تبنى الخيرات، وقوله (ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا) وقوله تعالى: (إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ) إشارة إلى الأخذ بالأحوط لسلامة تماسك المجتمع المسلم[٢]، والمراد بالظن في الآية: الظن المتعلق بأحوال الناس وحذف المتعلق بالفعل لتذهب نفس السامع إلى كل ظن ممكن هو إثم، وما دام النهي منصباً على أكثر الظن، والقاعدة أن بعض الظن إثم، فإن إيحاء هذا التعبير للضمير هو اجتناب الظن السيئ أصلاً، لأنه لا يدري أي ظنونه تكون إثماً! وبهذا يطهر القرآن الضمير من داخله من أن يتلوث بالظن السيئ فيقع في الإثم، ويدعه بعد ذلك نقياً بريئاً من الهواجس والشكوك، أبيض يُكنّ لإخوانه المودة التي لا يخدشها سوء الظن، والبراءة التي لا تلوثها الريب والشكوك، والطمأنينة التي لا يعكرها القلق والتوقع[٣].

يقول ابن عاشور –رحمه الله–: "إن هذا التفنن في معاني الظن في القرآن يشير إلى وجوب النظر في الأمر المظنون حتى يلحقه المسلم بما يناسبه من حسن أو ذم على حسب

(١) الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج٤، ص:٣٧١.

(٢) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢٨، ص:١١٠.

(٣) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٦، ص:٣٣٤٥.

الأدلة، ولذلك استنبط علماؤنا أن الظن لا يغني في إثبات أصول الاعتقاد وأن الظن الصائب تناط به تفاريع الشريعة"[1] وهذا عين الصواب فيما تعانيه الأمة اليوم من المصائب، فمعظم مصائب الأمة اليوم راجع إلى غلبة الظن الفاسد والتشويه المتعمد للآخرين، وإثارة المذهبية والعصبيات لأجل أهداف إقليمية أو عالمية، وما ينتج عنه من تفكيك وحدة هذه الأمة عن علم أو عن جهل لتكون بعدها بلا قوة ولا كلمة.

كذلك نجد أن القرآن عاتب المؤمنين على البدءِ بالظن السيئ في إخوتهم المؤمنين دون دليل ولا بينة، ولا شهود عيان يثبتون التهمة أو الريبة التي وقعت، فقال: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾ النور [١٢]، إلى أن قال: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ النور [١٦]، فكان الواجب على المؤمنين إذا سمعوا قول القاذف أن يكذبوه ويشتغلوا بإحسان الظن ولا يسارعوا إلى التهمة فيمن عرف عنهم الطهارة وحسن السيرة من إخوتهم، وفي هذه الآية إشارة بالمد إلى حسن الصنيع الذي صنعه أبو أيوب الأنصاري وأمرأته –رضي الله عنهما–؛ وذلك "أن أبا أيوب الأنصاري قال لأم أيوب: ألا ترين ما يقال؟ فقالت: لو كنت بدل صفوان أكنت تظن بحرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سوءا؟ قال: لا. قالت: ولو كنت أنا بدل عائشة رضى الله عنها ما خنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعائشة خير منى، وصفوان خير منك"[2]، فعدلت الآية عن الخطاب إلى الغيبة فأضمر الله الاسم "ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات، وليصرح بلفظ الإيمان، دلالة على أن الاشتراك فيه مقتض أن لا يصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول غائب ولا طاعن. وفيه تنبيه على أن حق المؤمن إذا سمع قالةً في أخيه، أن يبني الأمر فيها على الظن لا على الشك. وأن يقول بملء فيه بناء

(١) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٧، ص:١٠٩.

(٢) ينظر: بَكْري؛ حسين بن محمد بن الحسن الدِّيار (المتوفى: ٩٦٦هـ)، **تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس**، (بيروت، دار صادر)، ج١، ص:٤٧٧

على ظنه بالمؤمن الخير: هذا إفك مبين، هكذا بلفظ المصرح ببراءة ساحته. كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال. وهذا من الأدب الحسن الذي قل القائم به والحافظ"[١] وهذا هو مراد الله من الأخلاق الحسنة التي هي مبتغىً قرآني للمجتمع المسلم، وبعد ذلك له أن "ينظر في قرائن الأحوال وصلاحية المقام؛ فإذا نسب سوء إلى من عرف بالخير، ظن أن ذلك إفكاً وبهتانٍ حتى يتضح البرهان. وفيه تعريض بأن سوء الظن الذي وقع فيه هو من خصال النفاق التي سرت لبعض المؤمنين عن غرور وقلة بصارة فكفى بذلك تشنيعا له"[٢]. وفي قوله: (سُبْحَانَكَ) إشعار بأن الله غاضب على من يخوض في ذلك فعليهم أن يتوجهوا لله بالتوبة منه لمن خاضوا في الأمر، وبالاحتراز من المشاركة فيه لمن لم يخوضوا فيه بعد، ووصف هذا الفعل الذي كان نتيجة الظن السيئ (بُهْتَانٌ عَظِيمٌ) معناه أنه عظيم في وقوعه، أي بالغ في كنه البهتان مبلغاً قوياً، وإنما كان عظيماً لأنه مشتمل على منكرات ومحاذير كثيرة[٣].

(١) الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج٣، ص:٢١٨.

(٢) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٨، ص:١٧٥.

(٣) المرجع السابق: ج١٨، ص:١٨١.

المبحث الثالث: علاج القرآن لظاهرة سوء الظن في المجتمع المسلم.

المطلب الأول: تطهير النفوس من بواعث سوء الظن والتوجيه إلى الأخوة وحسن الظن.

انتهج القرآن الكريم مبدأ التخلية قبل التحلية في علاج ظهارة سوء الظن في المجتمع المسلم، حيث رسخ مبدأ مدح الظن الحسن والثقة بالله تعالى، ويدل على ذلك ما رواه الفضيل بن عياض –رحمه الله– في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ البقرة [١٩٥] قال: "في هذه الآية ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة بإساءة الظن بالله وأحسنوا الظن بالله إن الله يحب المحسنين الظن به"(١)، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل)(٢)، كما أكثر القرآن إشعار المسلمين بأن الكافرين من أهل الكتاب والمشركين والمنافقين –الذين ينتسبون إلى الإسلام– يظنون في ربهم غير الحق ظن الجاهلية الذميمة، التي تجعل لله شركاء على الأرض وتتقول على أنبيائها غير الحق وهم مع ذلك ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ النساء [١٥٧]، فلم يصلهم وحي، ولم يصلهم نذير، وما آتاهم الله كتاباً من قبل فهم على بينة منه ﴿بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ فاطر [٤٠] وإضلالاً، ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يونس [٦٦]، ويجرّبون الشرائع التي يظنون أنها تصلح من شأنهم الدنيوي تجربة بعد أخرى.

لذلك نأى الله بعباده أن يكونوا مثلهم في هذا التخبط وهذا الخرص الذي لا يعدو التخيلات والأوهام التي لا تستند إلى واقع ملموس، وشدد النكير على الكافرين الذين اتخذوا الشك والظن ديناً، فسفه آلهتهم التي يلتجئون إليها ويحسبون أنها تعصمهم من الله فقال:

---

(١) الثعلبي، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، ج٢، ص:٩٤.

(٢) رواه مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، برقم: (٢٨٧٧)، ج٤، ص:٢٢٠٦.

﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ ﴾ يونس [٣٥، ٣٦]، ثم بالغ في النكارة عليهم بأن سفه أحلامهم وأحلام آبائهم أيضًا، الذين يلتجؤون إلى مثل هذه الآلهة التي لا تغني عن الله شيئا فقال: ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ ﴾ [النجم:٢٣]، والتفتَ في الآية من الخطاب إلى الغيبة إعراضاً عنهم وتحقيراً لشأنهم(١)، وتبرأ من آلهتهم ليتبرأ منها المؤمنون المخلصون لله ولا يعقدون لها أي حساب. ومن ذلك نجد أن الرسول الكريم بالغ في النكارة على من يلجأ إلى العرافين والكهنة بعد أن بيّن الله أن دعوى تملكهم للنفع والضر دعوى باطلة وظن فاسد، ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ النجم [٢٣] على لسان الأنبياء والمرسلين، وما هذه الدعاوي التي يتمسك بها الواهمون إلا لأنهم ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾﴾ الجن [٧]، ليؤكد لهم أن المطلوب اليقين بالله والابتعاد عن شبه الكافرين التي لازالت تترد على المسامع إلى يومنا الحاضر بصيغ مختلفة وقوالب متنوعة، كلها تؤكد نفس المعنى في نفوسهم؛ فإنهم ينكرون صلاحية الدين، ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ الجاثية [٣٢] أجابوا استكبارًا منهم: ﴿قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ الجاثية [٣٢].

ولم يكتف القرآن من تطهير المؤمنين من الظن السيئ في معاني الألوهية والربوبية بعد أن تمت له، بل تدرج بهم فحذرهم من الظنون بينهم، فأمرهم باجتناب كثرة الظن ووصف بعضه بالإثم الذي يكون أقرب إلى الشبهات (كالراعي يرعى حول الحمى)(٢)، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ ﴾ الحجرات [١٢]، وفي ذلك إشارة

(١) الشوكاني، **فتح القدير**، ج٥، ص:١٣٢.

(٢) رواه مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الطلاق، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، برقم: (١٥٩٩)، ج٣، ص:١٢١٩.

إلى أن في الظنون ما يجب أن يجتنب، لئلا يجترئ أحد على الظن إلا بعد نظر وتأمل، وتمييز بين حقه وباطله بأمارة بينة، مع استشعار للتقوى والحذر[1]، ثم قرن القرآن الظن مع الغيبة والنميمة التي قرنت بالتشبيه القبيح الذي ينفل منهما، حتى يتم إبعاد المؤمنين من الظنون ويكرههم فيها، ووصف فريقاً من المنافقين الذين يدعون الإيمان بـ: ﴿ٱلظَّـٰٓنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ﴾ الفتح [٦]، وهو اسم يدل على ثبوت الوصف لهم وتوعدهم بقوله: ﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ الفتح [٦] ليزيد المؤمنين تشنيعاً عن اتباع نهجهم، ولذلك جمع الله الظنون في قوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ الأحزاب [١٠] مع أن الظن مصدر؛ لأن المراد بيان جريان أنواع مختلفة من الظنون، فظنَّ المؤمنون الابتلاء والفتنة فخافوا الزلل وضعف الاحتمال، وأما المنافقون وضعاف اليقين فظنوا في الله ورسوله الغرور وظنون السوء[2]. ولم يصف الله المؤمنين بالظن مقترناً بوصف السوء مطلقاً، بل وصفهم بالأفعال المجردة نحو: ظنوا، وظنا، ويظنون، وغيرها من تصاريف فعل الظن التي تدل على التجدد وقرنها غالبا بمعناها اللغوي في الأمر الدنيوي أو بمعنى اليقين بالله والظن الحسن في الأمور الأخروية وما يتعلق بالحقيقة الإلهية، فإن المؤمنين بشر تسري عليهم التغيرات تبعاً للأحول التي تعرض عليهم، والله لا يطلب منهم إلا وفق طاقتهم التي يعلم سبحانه قدرها.

المطلب الثاني: التحذير من سوء الظن وبيان عواقبه الدنيوية والأخروية.

توعد الله سبحان من يظن ظن السوء بالعذاب حيث قال مسفهاً مزاعم الكافرين والمكذبين في اتخاذهم الأنداد لله ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ سورة ص [٢٧]، وأردف تقريرهم على هذا بشهادة الجوارح التي تشهد بترددهم وحيرتهم، واعتمادهم على الظن السيئ في الله تعالى الذي أغراهم على التمادي وتعامي،

(١) - الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج٤، ص:٣٧١.

(٢)النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ج٥، ص:٤٥٠.

بيدَ أن الله بين لهم علمه بأحوالهم بصيغة المخاطب ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ فصلت [٢٢]، ليتبين لكل من تسول له نفسه اتباع الظن السيئ بالله تعالى أو بالمؤمنين أن الله مطلع عليه وخبير بعمله، وأن ظنه سيعود عليه وبالاً كما في قوله: ﴿ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ الفتح [٦]، ليجتنب من تسول له نفسه الإسراف في جنب الله ولا يعتمد على ظن نفسه الفاسد في عدم اطلاع الله عليه، وما أبلغ هذه الآية في بيان خفايا النفوس والوساوس التي تسول للإنسان معصية الله اتكاءً على مثل هذه الظنون أو غيرها من الظنون التي تسوّغ العصيان اعتماداً على العفو المظنون؛ ليجتنبها حتى لا يكون من الذين يعتمدون على عفو الله تاركين وعيده، ظناً منهم أن الله سيغفر لهم لا محاله، كأن عفوه عنهم فرض واجب عليه، ﴿ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة [٨٠]، ولا دليلَ ولا ضمانَ لأحد، فينبغي للمؤمن أن لا يغيب عن ذهنه أن الله رقيب عليه؛ حتى يكون في أوقات خلواته من ربه أهيب وأحسن احتشاماً وأوفر تحفظاً وتصوناً منه مع الملأ، ولا يعتمد على ظنون وأوهام ليس لها دليل سوى الاحتمال، وحتى لا يكون من المخاطبين بقوله: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ فصلت [٢٣]، الذين أرداهم وأهلكهم سوء ظنهم بالله. (١)

(١) ينظر: الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج٤، ص:١٩٦.

الخاتمة:

في ختام هذا البحث، وبعد هذه الإطلالة السريعة على موضوع الظن في القرآن الكريم، نلخص أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج وتوصيات في الفقرات التالية:

النتائج:

- ورد الظن في القرآن الكريم على عدة معان في (٦٩) موضعًا من القرآن الكريم.
- اختلفت معاني (الظن) في القرآن الكريم حسب السياق الذي ورد فيه اللفظ، أو الموضوع الذي تحدثت عنه الآيات، ومن المعاني التي ورد بها اللفظ ومشتقاته في القرآن الكريم: الشك أو الوهم، ومنها العلم أو اليقين، ومنها الحسبان والتهمة، كما استعمل القرآن (الظن) على مراتب الإدراك العقلي وما يتصل بها من العقيدة أو الفهم أو الإدراك.
- اعتبر القرآن الكريم أن أكثر الظن سيئًا؛ لذلك لم يطلق وصف الظن جامداً بالاسمية والعلمية إلا على من تنكب الصراط المستقيم من الكافرين والمنافقين؛ لينفر المؤمنين من الاعتماد على الظنون والأوهام خصوصاً فيما يتصل بالعقيدة، أما المؤمنون فإن القرآن أراد تطهيرهم من الاعتماد على الظن أو الركون إليه وامتدحهم باستعدادهم للتضحية والرحيل عن الدنيا في سبيل الله وظنهم الدائم باقتراب لقائهم لله، وأما الظن في أمور الدنيا -إن حصل منهم- فهو فيما دون العقيدة أو الثقة بالله.
- لتطهير المجتمع المسلم الناشئ من بواعث الشقاق عمل القرآن على تزكية نفوس المؤمنين من سوء الظن ومسبباته بينهم، وامتدح الذين يقدمون الظن الحسن على غيره في إخوانهم الذين يعرفون عنهم الصلاح وحسن السيرة.
- لم يمنع القرآن الكريم المؤمنين في التثبت من الأخبار، بل حثهم على التثبت والتبين، خصوصاً إن جاءتهم الأخبار ممن يجهلون تقواهم أو ورعهم؛ حتى لا يؤخذوا على حين غفلة وغرة لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ الحجرات [٦]،

وهذا التثبت في حد ذاته أيضا يعدُّ نفيًا للظن الذي قد يَرِدُ على المؤمن من نقل الأخبار، فهو داخل في إطار ترك الظن السيئ وطلب العلم اليقين في أمور الدين.

التوصيات:

- دراسة مفردات قرآنية اجتماعية أخرى ناقشها القرآن وتعرض لها في دراسة موضوعية شاملة.
- الإفادة من الدراسة في المجالات البحثية ذات العلاقة.

المصادر والمراجع

م	اسم المرجع
١.	الأزدي؛ أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد – ت ٣٢١هـ، (١٩٨٧م)، جمهرة اللغة – تحقيق: رمزي منير بعلبكي، (الطبعة الأولى)، بيروت – دار العلم للملايين.
٢.	الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب – ت: ٥٠٢هـ، (١٤١٢هـ – ١٩٩١م)، المفردات في غريب القرآن – تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (الطبعة: الأولى)، دمشق – دار القلم وبيروت – والدار الشامية
٣.	البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي أبو عبدالله، (١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م)، الجامع المسند الصحيح أو صحيح البخاري – ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، (الطبعة: الأولى)، بيروت – دار طوق النجاة
٤.	بَكْري، حسين بن محمد بن الحسن الدِّيار – ت: ٩٦٦هـ، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، بيروت – دار صادر
٥.	الثعلبي؛ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم – ت ٤٢٧هـ، (١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن – تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، (الطبعة الأولى)، بيروت – دار إحياء التراث العربي.
٦.	الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف – ت: ٨١٦هـ، (١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م)، كتاب التعريفات – ضبطه وصححه جماعة من العلماء، (الطبعة الأولى)، بيروت – دار الكتب العلمية بيروت
٧.	ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، (١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م)، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر – تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، (الطبعة الأولى)، بيروت – مؤسسة الرسالة.
٨.	الدامغاني، الحسين بن محمد الدامغاني – ت: ٤٧٨هـ، (١٩٨٣)، قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم – تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، (الطبعة الرابعة)، بيروت – دار العلم للملايين.

٩.	الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي فخر الدين الرازي – ت: ٦٠٦هـ، (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م)، مفاتيح الغيب، (الطبعة الثالثة)، بيروت – دار إحياء التراث العربي
١٠.	رضا، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني – ت: ١٣٥٤هـ، (١٩٩٠)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، مصر – نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب.
١١.	الزركشي؛ أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر – ت ٧٩٤هـ، (١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م)، البرهان في علوم القرآن – تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (الطبعة: الأولى)، بيروت – دار المعرفة، دمشق – دار إحياء الكتب العربية.
١٢.	الزمخشري؛ جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد – ت ٥٣٨هـ، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (الطبعة الثالثة)، بيروت – دار الكتاب العربي.
١٣.	السنيكي؛ زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي – ت ٩٢٦هـ، (١٤١١هـ/ ١٩٩٠م) الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة – تحقيق: د. مازن المبارك، (الطبعة: الأولى)، بيروت – دار الفكر المعاصر.
١٤.	الشوكاني؛ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله – ت ١٢٥٠هـ، (١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، فتح القدير، (الطبعة الأولى)، دمشق – دار ابن كثير/وبيروت – دار الكلم الطيب.
١٥.	ابن عاشور ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ت:١٣٩٣هـ، (١٩٨٤)، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، تونس – الدار التونسية للنشر.
١٦.	العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران – ت: ٣٩٥هـ، (٢٠٠٠)، الفروق في اللغة – تحقيق: محمد باسل عيون السود ، (الطبعة الأولى)، بيروت – دار الكتب العلمية.

١٧.	العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران — ت: ٣٩٥هـ، (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م)، الوجوه والنظائر — تحقيق: محمد عثمان، (الطبعة: الأولى)، القاهرة - مكتبة الثقافة الدينية.
١٨.	ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين - ت: ٣٩٥هـ، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، معجم مقاييس اللغة -تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الأردن - عمان - دار الفكر
١٩.	الفراهيدي؛ أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري - ت ١٧٠هـ، (١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م)، كتاب العين - تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، بيروت - دار ومكتبة الهلال.
٢٠.	قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي - ت: ١٣٨٥هـ، (١٤١٢هـ-١٩٩١م)، في ظلال القرآن، (الطبعة السابعة عشر)، القاهرة - دار الشروق
٢١.	كرم، يوسف بطرس - ت ١٩٥٩ م، تاريخ الفلسفة الحديثة، (الطبعة الخامسة)، القاهرة، مكتبة الدراسات الفلسفية.
٢٢.	مجمع اللغة العربية بالقاهرة [أحمد الزيات ومحمد النجار وإبراهيم مصطفى وحامد عبد القادر]، المعجم الوسيط، القاهرة - دار الدعوة.
٢٣.	ابن منظور؛ أبو الفضل محمد بن مكرم بن على جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي - ت ٧١١هـ، (١٤١٤هـ/١٩٩٣م) لسان العرب، (الطبعة الثالثة)، بيروت - دار صادر.
٢٤.	النيسابوري، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري - ت: ٢٦١هـ، المسند الصحيح، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت - دار إحياء التراث العربي.
٢٥.	النيسابوري؛ نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي - ت ٨٥٠هـ، (١٤١٦/١٩٩٥م) غرائب القرآن ورغائب الفرقان — تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، (الطبعة الأولى)، بيروت - دار الكتب العلمية.